مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 14، عدد رقم: 01، مارس 2025، صص: 403- 410
تاريخ الاستلام(2024/05/02)تاريخ القبول (2024/09/28)تاريخ النشر (2025/03/30)

وظائف الحكاية الشعبيّة الموجّهة للأطفال(نماذج مختارة)

Functionsof Folktales Directed at Children (Selected Models)

الواسع محمد اليمين ضيف الله السعيد
[1]المركز الجامعي سي الحواس -بريكة-(الجزائر)، elyamine.louassaa@cu-barika.dz
[2]المركز الجامعي سي الحواس بريكة(الجزائر)، said.difallah@gmail.com

ملخص:
تلعب الحكايات عامة دورًا هامًا في ترسيخ مبادئ وقيم المجتمع، بحيث تعكس تلك القصص تر اثًا ثقافيًا غنيًا وتنقل قيمًا اجتماعية، وتعمل على نقل الحكمة والتجارب من جيل إلى جيل، وتسهم في بناء وتعزيز الهويّة الوطنيّة والتلاحم الاجتماعي، لذا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ:وظائف الحكاية الشعبيّة الموجّهة للأطفال ، فالبحث يهدف إلى الكشف عن الوظائف التي تلعبها الحكايات الشّعبيّة الجز ائريّة وخاصة الموجهة للأطفال في الحفاظ على المكوّن الثّقافي والقيّم المعنويّة للمجتمع الجز ائري.

كلمات مفتاحية: الحكاية؛ الوظيفة؛ الطّفل؛ القيّم؛ المجتمع؛ المحكي الشّفهي

Summary:
Folktales play an important role in instilling the principles and values of society, reflecting a rich cultural heritage and conveying social values. They help transmit wisdom and experiences from one generation to another, contributing to the construction and enhancement of national identity and social cohesion. Therefore, this study titled 'Functions of Folktales Directed at Children' aims to uncover the roles that Algerian folktales, especially those aimed at children, play in preserving the cultural components and moral values of Algerian society.
Keywords: folktale; function; child; values; society; oral storyteller

المؤلف المرسل: الواسع محمد اليمين، **الإيميل:**elyamine.louassaa@cu-barika.dz

1. مقدمة :

تعد الحكاية جزءًا أساسيًا من التراث الثقافي، حيث تنقل قيّمًا أخلاقية وثقافية واجتماعية بشكل شفوي وتعكس التراكمات التاريخية والخصوصية المحلية، فدور الحكاية يظهر في تعزيز الهوية الثقافية وتوطيد الروابط الاجتماعية، ومساهمةً في بناء الذاكرة الفردية والجماعية للمجتمع، وتسهم في نقل الحكمة والتجارب من جيل إلى آخر، مساهمة بذلك في تنمية المجتمع وتعزيز التفاهم والتلاحم بين أفراده. وفي الحفاظ على هوياته وقيمه حللنا بعض الوظائف التي تقوم بها الحكاية الشعبيّة في بعض المدونات الجزائرية المشهورة، فوجدناها تقوم على عدة وظائف منها التربوية العلاجية في تسوية بعض الأفعال التي تخرج عن مبادئ المجتمع، والمحافظة على تماسك الأسرة، والوظيفة الثانية ترفيهية وهي الأكثر أهمية بالنسبة للمتلقي (خاصة الناشئة) وعادة ما تقوم بها الجدة والأم للناشئة والأطفال للتنفيس والترويح. وتكمن أهمية هذا الموضوع في محاولتنا تسليط الضوء على مفهوم الحكاية الشعبيّة عند العرب والغرب، واستكشاف وظائفها التي انعكست على المجتمع الجزائري، ومن أهمية الموضوع كذلك الكشف عن بعض الأعمال الحكائيّة التي لعبت دورا مهما في الحفاظ على المكون الثقافي الجزائري ومنعه من الاندثار، واستنطاق جمالية بعض النصوص الحكائيّة التي لعبت دورا بارزا في الحفاظ على تماسك المجتمع الجزائري، ومن خلال ما سبق يمكننا طرح جملة من التساؤلات التي تحيط بحركية النزوع الوظائفي القيّمي داخل المحكي الجزائري. فما مفهوم الحكاية؟ ماهي الوظائف التي تؤديها الحكاية الشعبيّة في الموروث المحكي الجزائري؟

2. مفهوم الحكاية الشعبية

الحكاية الشعبية هي شكل سردي يأخذ مادته من الواقع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه الشعب. وتنوع موضوعاتها دفع الباحثين إلى استخلاص عدة أنواع منها (قصة الواقع الاجتماعي، الحياة اليومية، الحياة الاجتماعية، القصة الحيوانية، القصة المصورة، قصة اللغز، وقصة الواقع الأخلاقي). الحكاية الشعبية هي الأسلوب الأكثر انتشارا بين أفراد المجتمع الجزائري، إذا ما تم دمجها مع روايات أخرى من أنماط أخرى، نظرا لمرونة شكلها حيث لا تلتزم بحدود شكلية دقيقة تتعلق بألفاظها وبنائها. يتم سردها في كل وقت وفي كل مناسبة، ولا تقتصر على الرواة المحترفين ولا على الرواة غير المحترفين. يرويها جميع الناس وخاصة الأمهات والجدات للأطفال[1]. كما تعد الحكاية الشعبية أحد الفنون الأدبية النثرية

القديمة. وكان وجودها مدفوعا بحدث تاريخي أو بطل، حيث تمتزج الحقيقة بالخيال. ولا يقوم على قواعد فنية واضحة، بل يختلف من شخص إلى آخر في السرد. ومن مجتمع إلى آخر بحسب مصدر إلهامه، فهو يتميز بالصراحة والإيجاز والسطحية. يتم سردها في الشوارع والمقاهي والمساجد مقارنة بفن السرد الحديث، الذي "يتميز بعمق الفكرة وتطور الأحداث بطريقة فنية مترابطة، تتتابع فيها الأحداث، وتتتابع فيها الأحداث". الصراع يصبح معقدا".[2]ويعني أيضاً ذلك العمل الفني الذي يقترب من القصة القصيرة والقصص القصيرة، إلا أن الحكاية الشعبية يهيمن عليها الخيال الجامح، وتؤدي مهمة الفن الشعبي، ويرى بعض الباحثين أنها مرتبطة بمحاكاة الواقع، أو على الأقل لمحاكاة واقع نفسي يقتنع مؤلفوه بحدوثه، وبالتالي تكون القصة استرجاعاً للواقع. أو ما يتصور أنه حقيقة من خلال الكلمة، وهو تصوير الحدث، وتوسيع التصوير يعطي الواقع جمالاً وتأثيراً[3]. وتعرف نبيلة إبراهيم القصة الشعبية بأنها قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم، وأن هذه القصة يستمتع الناس بروايتها والاستماع إليها لدرجة أنها تصلهم جيلاً بعد جيل عبر السرد الشفهي[4].فالقصة الشعبية حسب الباحثة هي تعبير عن التراث الثقافي والتاريخي الذي يتناقله الناس عبر الأجيال. وتتنوع القصص الشعبية في موضوعاتها وأحداثها، وتعكس تجارب وقيم ومعتقدات المجتمعات التي نشأت فيها. يستمتع الناس بسماع هذه القصص وروايتها، وهي تلعب دورًا مهمًا في نقل التراث الثقافي وتعزيز الهوية الثقافية للمجتمعات.

تعددت الآراء حول أصل القصة بشكل عام بحيث يرى البعض أنّها من أصل هندي، والبعض يعزوها إلى أصل مصري، مستندين في ذلك إلى وجود بعض الحكايات الشعبية على النقوش الفرعونية، والتي تشير إلى وجودها عند المصريين منذ القدم، مثل حكاية (الصدق والكذب)) وحكايات (السحر) وقصص (الحيوانات) ونحو ذلك.. ويعد البعض أن الحكاية لها جذور هندية أو مصرية، وتاريخها يمتد عبر العديد من الثقافات، أما إذا عدنا إلى العالم العربي نجد لانتشار الحكاية الشّعبيّة عدة مصادر منها حكايات ألف ليلة وليلة [5]،فهي متداولة ومنتشرة بكثرة في بيوت العائلات وهي من المجموعات التي يحرص الباعة في المكتبات والأسواق على توفيرها للقارئ المتعلم قديما، فيقتنيها ويقومون عادة بسردها في مجالس السمر ليلا في البيوت والساحات العامة، ولكن في السنوات الأخيرة انقطعت هذه العادة الجميلة[6]، ويرجع ذلك لانتشار وسائل التكنولوجيا(الهاتف المحمول والتليفزيون...)،ومن مصادرها كذلك الواقع المعاش للمجتمع الشعبي فنجد الحكاية تستمد

روحها ومادتها من واقع الفرد الذي يحياه، يستعين في ذلك القاص برموز (الحكايات الحيوان) في سياق ضرب المثل وبيان ما يهدف إليه هو إيصال المواعظ والتجارب[7].

اعتمدت الحكاية الشعبية في بداياتها على الإبداع الفردي لراوي مجهول. ثم انتقل عبر الزمن ليمثل أدباً جماعياً يعكس الروح الجماعية. وبما أن القصة تُروى من جيل إلى جيل، فمن الطبيعي أن تتعرض القصة للزيادة والنقصان والتحريف. وهناك الراوي الذي يحافظ على حياة الحكاية الشّعبيّة، ويستمر في تجميلها وتنميقها، ويضفي عليها في بيئة بعينها طابعاً شخصياً محبباً، وهنا يكمن دور الذاكرة القوية لتجنب فقدان أجزاء من القصة، وكذلك دور القدرة على التأليف وتوافر الثروة اللغوية والقدرة على الأداء بشكل درامي، وفي ظل هذه العوامل تتزايد تفاصيل القصة الواحدة أو تتقلص.[8]

وللحكايات عامة دور مهم في التعبير عن التمثيل النفسي والبيولوجي والتي تتمثل في تلبية الحاجات النفسية والبيولوجية للفرد وتنمية سلوكياته والتنفيس عن مكبوتاته الجنسية، وتحقيق رغباته التي لا يتمكن من ممارستها في الواقع نظرا لكونها تتعارض مع قيّم مجتمعه أو أنها تخرج عن نطاق حدود قدرته الذاتية المحدودة بطبيعته البشرية، وكذلك تحقيق لميوله ونزاعاته في تحقيق الخير المطلق وخلق عالم مثالي ويجد المتلقي كذلك في الحكايات حقيقة لتواصله مع الآخرين في الأحاسيس ومشاعره ، فالفرد عند مشاركته فن الحكاية الشعبية يجد متعة وراحة نفسية[9]

3.وظائف الحكاية الشعبية

للحكاية الشعبيّة دور مهم من الناحية النفسيّة والتاريخيّة وتأثير فعال على المتلقي خاصة الأطفال، وتقوم على عدّة وظائف منها الترفيهية(التسلية) ويمكن تعريف هذا النوع من الحكايات الشعبية بأنها حدث يدور حول بطل أو بطلة، خارج نطاق الشخصية الذاتية للتعبير عن نموذج أو مثال مطلق وهو بالطبع صورة (البطل الشعبي.(ومهمتها أنّها تعمل على محاربة القيّم السلبية في المجتمع كالبخل والجهل والكذب والحمق[10] وتعكس من ناحية القيم المعنوية السائدة والتي تتمثل في النزوع إلى الثبات وتعزيز القيم السلوكية الإيجابية، والقيم المرتبطة بالأخلاق في المجتمع، كالقناعة، والإخلاص، والصدق، والوفاء من خلال الفكاهة (السخرية). تتناول هذه القصص شخصيات أسطورية، مثل شخصية (جحا) على سبيل المثال، والتي تردد صداها على ألسنة العديد من الشعوب، وربّما يكون لهذه الشّخصيّة أصل في الواقع كشخصيّة أشعب (إلا أنها بدأت تتشكل في صفات كثيرة قد تكون

متناقضة، فتارة اتسمت بالبساطة والسذاجة، وتارة أخرى بالمكر والمكر...إلخ، وأصبحت شخصية (أشعب) رمزاً له كل ما يريد الناس أن يقولوه. منسوبا، فبقي الحديث عاما دون تحديد، وظهرت شخصية (أشعب) وكأنّها صورة، والجانب الآخر لديه البطل الفكاهي والمضحك في القصص الشّعبيّة، لكن لم يصور أحد ما بداخل الشّخصيّة وما هو الذي يدور بداخلها، أو يصور رد الفعل النفسي الطبيعي، فما يراه الناس مختلف تمامًا عما تحبه الشّخصيّة نفسها في الموقف الفكاهي.[11] ،أما إذا عدنا إلى الجزائر فإننا نجد الحكاية الترفيهية المسليّة، التي عادة ما تقوم بها الأم والجدة قبل النوم للأطفال فمثلا حكاية (القدرة تاكل اللحم) تصور لنا حكاية أسرة فقيرة تشتهي الزوجة أكل اللحم، وكان كلما يحضر الزوج اللحم تدعي بأن القدر تأكله، إلى أن جاء أحد أصدقائه مدعيا العمى فشاهدها تخبؤ اللحم وكشف أمرها، من خلال هذا المثال نستنتج بأن الحكاية المرحة رغم أنها تؤدي بسامعها إلى الضحك غير أنّها تحمل عبرا وأحكاما تساعد على تحقيق المجتمع السليم وتجسد بعض القيمّ كالصدق والإيثار من خلال هذا النموذج ، أما الوظيفة التي نراها الأكثر أهمية وهي الوظيفة التربوي ويقصد بقصة الواقع الاجتماعي تلك القصص التي تكشف الصراع الطبقي وعلاقة الفئات الشعبية ببعضها البعض بمعنى أن قصص الواقع الاجتماعي تسلط الضوء على التحولات الاجتماعية والصراعات الطبقية بين مختلف طبقات المجتمع، وتسلط الضوء على العلاقات بين الافراد والجماعات في هذا السياق فبحكم تداولها" بين فئات الشعب العريضة التي تتشكل من الفلاحين المضطهدين وصغار الحرفيين...ورفعا من شأن القيم المعنوية التي يتحلى بها الانسان الفقير، وانتصارا لقيمة العمل مثل العدل والحق والخير والحب وهو يؤدي وظيفة تعليمية تثقيفية"[12] تحرص الفئات الشعبية على الارتباط بأصولها، والحفاظ على العادات والتقاليد بما تحمله من قيّم مثاليّة، تلك القيّم التي يخشى الشعب من انهيارها تحت تأثير التجاوزات المدنية على المجتمع الشعبي. ومن هنا يستغل الإنسان قصصه لتأكيد تلك القيّم تارة، وإبراز العيوب الأخلاقية التي يراها كما بدأت تنتشر في مجتمعه تارة أخرى، وتزخر القصص الشّعبيّة بالعديد من القيّم التي يعمل المجتمع على ترسيخها أو القتال، كالكرم، والشجاعة، والوفاء، والشرف، والانتقام، والحث على العمل، ومحاربة الكسل، والوفاء، والمحبة، والخيانة الزوجية، والكسب الحلال، واحترام المرأة أو احتقارها. الأطفال، على وجه الخصوص، مغرمون باكتشاف العالم من حولهم. لأنّ ذلك من شأنه أن يمكّنهم من العيش بأمان ودون قلق، فتأتي القصة كدليل

للطفل من خلال تعبيرات يستطيع إدراكها بمشاعره... مما يساعده على نبذ رغبات التبعية الطفولية وتحقيق حياة مثالية مستقبل مرضي.[13]، ومن حكايات المدوَنة التي عالجت الروابط الاجتماعية وواقع الفرد الجزائري حكاية "بقرة اليتامى" التي أكدت على ضرورة المحافظة على العلاقات الأسرية، فالحكاية تحيلنا إلى كثير من القيّم القارة في المجتمع الجزائري، التي شكلت كيانه وحققت وجوده، ذلك أن الباحث اللغوي الأنثروبولوجي لا يدرس اللغات في ذاتها فحسب، وإنّما "في علاقتها بالبيئة الاجتماعية والثقافية التي تحتضنها"[14]. ومن خلال لغة الحكي في هذه الحكاية (بقرة اليتامى) لمسنا قيمة متجذرة وثابتة عند الفرد الجزائري (علاقة الأم بأبنائها)، وما يتخللها من رحمة وتضحية، فنجد الأم تنسى نفسها، وتتغافل عن الموت الذي يطرق ببابها، وتفكر في مصير صغارها من بعدها، وهذا البعد نابع من الفطرة الإنسانية، كما نجد عاطفة الأخوة بين الشقيقين. وقدرة تأثير الأم في الأبناء، وأن الأم تنقل أخلاقها لابنتها، وحتى الأب تبقى علاقة أُبوته غير مشكوك فيها، رغم ما يتحمله من مسؤولية في تعاسة الولدين، وهو ما يعكس القيمة المحفوظة للوالدين في المجتمع الجزائري، والاحترام الذي يولَيان به، ولم تُسوِّل لها نفسها أن تمعن في العِتاب، مثلما هي عليه علاقة الأبناء بالآباء في مجتمعات أخرى فحكاية بقرة اليتامى عالم مفعم بالحياة، زاخر بالعجائب، تتحرك فوق مساحته الشخوص والأبطال، عالم يبث الإحساس في الحيوان والنبات والجماد[15]. ساهم سرد قصة "البقرة اليتيمة" في تأسيس المشهد البيئي الجزائري من خلال سينوغرافيا السرد وتسجيل حضور المعجزة والرواية على لسان الحيوانات وهو شكل من أشكال التعجيب والإعجاز، وإبراز قيمتها في حياة الجزائري، مثل "البقرة" التي كانت فاعلا رئيسيا في القصة، وفقدها مؤذن ينبئ بوقوع الفقر، وهو ما حدث لليتيمين من خلال الحكاية. ومع وجودها تحملوا الكراهية والأذى، ومع فقدانها فقدوا الأمل في البقاء، فقرر اليتيمين الرحيل، وبتتبع السرد الحكائي لهذه الحكاية تتحقق غاية إنسانيّة بحيث يتعلّم الطّفل الصّبر والرأفة والشّفة والرّحمة وحبّ الاخر والوظيفة الجمالية متعلقة بالسرد وهي غرائبية الشخصيات وهي تمثيل الحيوان (البقرة) بأم وإعطائها كيانا وروحا ووعيا شبيها بالإنسان وطريقة بناء الحدث عجائبيا ما يجعل القصّة تثير دهشة المتلقي والاستمرار في سماع وقراءة الحكاية.

وهناك العديد من الحكايات الغريبة المروية التي عالجت علاقات الأخوة وعلاقات الزواج والصداقة منها: حكاية الإخوة الثلاثة التي تروي الحكاية قصة أخوين اتفقا على أن

يزوج أحدهما بناته الثلاث لأبناء لكن الأول أخلف وعده عندما مات أخوه واشترط عليهم القيام بمغامرة وهي الهجرة إلى ثلاثة أوطان كل واحد يسافر إلى وطن ، واستكشاف ثلاثة قصص جرت في هذه الأوطان، فعمل الأولاد على تنفيذ الأمر والاطلاع على هذه القصص، وبعد عودتهم زوجهم عمهم بناته فهذه الحكاية تتألف من عدة وظائف وهي إزالة الشر وتنفيذ وصية أبيهم بالزواج من بنات أخيه (الوفاء)والوظيفة الثانية درء الشر وإزالته بسبب فسخ الوصية من عمهم وتحقيق وظيفة بيولوجية وهي الزواج ونفسية وهي الاستقرار.

نخلص من هذا المبحث أن الهدف من هذه القصص التربوية العلاجية هو معالجة التصرفات الشاذة في المجتمع والتي تتعارض مع قيمه.

4. خاتمة

من خلال ما عالجناه في هذه الورقة البحثيّة يمكن أن نوجز بعض النتائج الآتية:

- التراث المحكي يعكس هوية الشعوب ويعزز وحدتها، فالحفاظ على هذا التراث (تداولا ودراسة) أصبح ضرورة ملحة فهو لا يوثق ماضي الشعوب والأمم فحسب، بل يربط الماضي بالحاضر، مما يمنح الأجيال القادمة الشعور بالاستمرارية والانتماء إلى وطن له تاريخ عريق وتراث غني..

- تعتمد الحكاية الشّعبيّة الجزائريّة المرويّة على غريب الحكي ، بحيث يسعى الراوي في هذا السياق إلى خلق جوّ يثير الدهشة ويحيّر المتلقي لإثارة فضوله وتحفيز التفكير الإبداعي للمتلقي وهذا التوجيه قد يكون متعمدا أو غير متعمد، فهي جزء من التراث الشعبي، وتضم مجموعة من الحكايات الفريدة والمتميزة، وتتنوع في مضمونها، حيث تروي الحكايات عن أبطال شعبيين، وتحكي عن أحداث غير عادية وخيالية، ويتم استخدام هذا النوع من الحكايات لنقل القيّم والتقاليد الثقافية، كما يمكن أن تحمل رسائل ووظائف تعليمية وأخلاقية وتربوية العلاجية في تسوية بعض الأفعال التي تخرج عن مبادئ المجتمع هذا من جهة، ومن جهة أخرى المحافظة على تماسك الأسرة، وتقوم كذلك على ترسيخ بعض القيّم بطريقة غير مباشرة للمتلقي (الترفيهية) فهي بذلك تسهم في الحفاظ على الهويّة والقيم المعنويّة الثقافية للمجتمع وإعطاء القاص الحيوان (بقرة اليتامى أنموذجا) كيانا وروحا ووعيا شبيها بالإنسان وإشراكه مع شخوص آدمية في نسج عوالم خيالية الغاية منه ضرب المثل وإيصال قيّم نبيلة.

ما يمكن أن نلاحظه أن جميع الوظائف تتداخل فيما بينها، فقد تكون الحكاية في جانب من جوانبها ذات وظيفة اجتماعية وفي جانب آخر ذات وظيفة نفسية مثل ما رأيناه في حكاية الإخوة الثلاثة.

5. مراجع البحث وإحالاته:

[1]عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، وزارة الثقافة الجزائرية، ص118.

[2] تلي بن الشيخ ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ص107.

[3]سرحان النمر، الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص21.

[4]نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، ص134.

[5]محمود ذهني، الأدب الشعبي العربي-مفهومه ومضمونه مكتبة الأنجلو المصرية، ص137.

[6]ينظر عبد الحميد بورايو، ص120.

[7]عبد الحميد بورايو، ص124، 125.

[8] المرجع السابق، سرحان نمر، ص14.

[9]المرجع السابق، عبد الحميد بورايو، ص53.

[10]نبيل علقم، مدخل لدراسة الفولكلور، جمعية إنعاش الأسرة، ص103.

[11]حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ص175.

[12]المرجع السابق، عبد الحميد بورايو، ص53.

[13]المرجع السابق، برونو بتلهايم، ص30.

[14]محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية، مؤسسة سجل العرب، ص19.

[15]فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشعبية، مكتبة الدراسات الشعبية، ص02.